واللغة والعربية»[1]. والعربية تعني النحو .

وفرق عبد اللطيف البغدادي بين وظيفة النحوي ووظيفة اللغوي فقال: «اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي ، فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه»[2].

علم اللغة

ظهر مصطلح (علم اللغة) في كتب التراث ، ويعد مرادفًا لمصطلح اللغة ، فقد ذكر ابن خلدون «علم اللغة» ضمن علوم اللسان العربي ، وعرفه بقول: «هو بيان الموضوعات اللغوية» أي معاني المفردات ، ثم يذكر أن الفساد في موضوعات الألفاظ قد وقع بعد فساد الألسنة في الأعراب ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه . فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية ضياعها ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، وأشار إلى سبق الخليل في البحث اللغوي في معجمه (العين) الرائد في علم المعجم . وأشار إلى الزبيدي والجوهري والزمخشري .

ويتبين من كلام ابن خلدون أن علم اللغة يعني دراسة معاني المفردات[3].

ويرى أبو حيان الأندلسي أن علم النحو موضوعه أمور كلية (التراكيب)، وعلم اللغة موضوعه أمور جزئية (المفردات) ، وظهر إلى جوار «اللغة» و «علم اللغة» مصطلح ثالث وهو «متن اللغة»، ويتبين من كتب التراث أن المصطلحات الثلاثة مترادفة[4] ، فموضوع البحث في هذه الموضوعات جمع مفردات اللغة ، وبحث معانيها ، وكان الهدف الرئيسي من دراسة اللغة ، معرفة معاني القرآن الكريم .

وقد استطاع علماء العربية أن يضعوا تصورا دقيقا للبحث اللغوي ، كما توصلوا في فترة

---

(1) نفسه .

(2) المزهر في علوم اللغة في الأدب ، لجلال الدين السيوطي 1/ 59 .

(3) ارجع إلى: المقدمة ص 516 – 519 .

(4) ارجع إلى: المزهر جـ 1/ 43 .

مبكرة إلى وضع مفهوم دقيق لمصطلح اللغة ، لم يتجاوز ما أجمع عليه البحث الحديث .

ويعد ابن جني أول من وضع تعريفًا اصطلاحيًا دقيقًا لمفهوم اللغة ، وذلك في القرن الرابع الهجري (ت 391هـ) :

«حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1] فاللغة ذات طبيعة صوتية ، وذات وظيفة اجتماعية ، فهي أهم وسائل الاتصال الإنساني من حيث الدلالة ، والتعبير، والتبيين والاتساع .

ولقد اهتم كثير من الباحثين بجهود ابن جني اللغوية ، فقد وضع أسس البحث العلمي للغة التي اقتربت كثيرًا من الدراسات العلمية الحديثة ، ومن أهم ما توصل إليه سبقه إلى تحديد مفهوم اللغة ، وقد عقب الدكتور حجازي على تعريفه ، فقال:

«وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ، ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة ، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة ، ويؤكد أن اللغة أصوات ، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يتوهم أن اللغة في جوهرها ظاهر مكتوبة ، وبين تعريف ابن جني وظيفة اللغة الاجتماعية ، وهي التعبير والتواصل ، وأن لها إطارا اجتماعيا ، ومن ثم فهي تختلف باختلاف الجماعات الإنسانية .

وبذلك يوضح تعريف ابن جني طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها الاجتماعية من

---

(1) الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار طـ 3/ 1416هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ 1/ 43 .

لقد جمع تعريف ابن جني بين الآراء التي ترى أن « اللغة نظام من الرموز الصوتية» ، والآراء التي تراها وسيلة اتصال وتعبير بين أفراد المجتمع .

قال «كل قوم» فالمجتمع الإنساني ليس له لسان واحد بل تختص كل جماعة نفسها بلغة . وقد جمع أبو البقاء الكفوي تعريفات اللغة فقال : «اللغة هي أصوات بها يعبر كل قوم عن أغراضهم ... وقيل: ما جرى على لسان كل قوم . وقيل الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة ، وقيل: معرفة أفراد الكلمة . الكليات ص 796 .

الجانب الآخر» [1]. وقد أطلق لفظ اللغة قديمًا على اللغة عامة كما أطلق أيضًا على اللهجات . فقد كانت لهجات العرب تسمى لغات . ، وأطلق على دراسة المفردات ومعانيها كما أطلق على ما جرى على لسان كل قوم دون تحديد وصف له .

لقد اقترب مفهوم ابن جني للغة من المفهوم الحديث الذي يرى أن اللغة نظام من العلامات المنتظمة تقوم بوظيفة اتصالية . (نقل المعلومات) ، ويترتب على تعريف اللغة بأنها نظام ، مناقشة وظيفتها الاجتماعية ، فهي تؤمن وتضمن تبادل المعلومات ، وتضمن حفظها وتراكمها في المجتمع الذي يستخدمها[2].

ويقدم ابن خلدون هو الآخر تعريفا متقدما في مقدمته فيقول: «اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام ، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[3]. فاللغة عنده أصوات قيلت عن قصد لإفادة معنى، واللسان الأداة التي تنتجها، ويقول في موضع آخر «اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد»[4].

وهناك فرق بين «اللغة» . وبين ما يطلق عليه اسم «علم اللغة» ، وقد سبق أن تناولنا «اللغة» ، ونعني بها المادة المنطوقة أو المكتوبة التي يستخدمها المجتمع البشري في التعبير والتواصل، أما مصطلح علم اللغة **Linguistics** أو **linguistque** ، فقد جاء في كتب التراث القديمة بمعنى دراسة المفردات اللغوية، وهو قريب من مفهوم المعجم اللغوي.

وقد توسع مفهوم هذا المصطلح حديثًا واشتمل على جوانب دراسة اللغة ومناهج بحثها ، فعلم اللغة «هو العلم الذي يبحث في اللغة ، ويتخذها موضوعا له ، فيدرسها من النواحي الوصفية ، والتاريخية ، والمقارنة ، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة،

---

(1) مدخل إلى علم اللغة الدكتور حجازي . دار الثقافة ، ط 2، ص 10 .

(2) سيمو طيقا للسينما ، يوري لوتمان ، ترجمة نصر حامد أبو زيد ، مدخل إلى السميوطيقا ص266.

(3) المقدمة ص 1254 .

(4) نفسه ص 1254 .

أو بين مجموعة من هذه اللغات ، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة أو علاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة»[1]، فعلم اللغة **Linguistics** في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي[2].

إن علم اللغة هو الدراسة العلمية للغة واللغات[3] فعلم اللغة هو دراسة اللغة واللغة تتعلق باللسان الإنساني ، وهناك تعريفات أوسع ، ترى أنها «تلك الألفاظ التي تحمل معني ، أو كل شيء له معنى مفيد أو كل شيء ينقل المعنى من عقل إنساني لآخر»[4].

ويرى ماريوباي أن «هذه التعريفات الواسعة لا تقتصر اللغة على صورتها المتكلمة فقط، بل تحوي إلى جانب ذلك الإشارات ، والإيحاءات ، وتعبيرات الوجه ، والرموز من أي نوع ، مثل إشارات المرور ، والأسهم ، وحتى الصور والرسوم ، وكذلك دقات الطبول الخاصة في أدغال أفريقية ، وإطلاق الدخان بطريقة معينة بين الهنود الأمريكيين . كل هذه الأشكال للنواقل المعبرة تلقي اهتمام عالم المعنى الذي يهتم بكل رمز له معنى مفيد ،بغض النظر عن أصله وطبيعته ودلالته ، ولكن اللغوي لا يلقي بالا إليها إلا بدرجة محدودة[5].

إن اللغة نظام من الرموز متكامل يعطي دلالات ذات معنى ، في التواصل بين الكائنات الحية ، وهذه الرموز تتمثل في اللغة التي يتعامل بها الإنسان ، والتي تعد أكثر تركيبا وتعقيدًا ، والمتمثلة في الكلمات ذات الدلالة ، ولكن هناك أشياء أخرى غير لغوية ، ولكنها تؤدي دلالات ذهنية في التواصل الاجتماعي ،وإن كانت محدودة الدلالة ، ولا تبلغ درجة اللغة مثل الصفير والصراخ ، وأصوات الألم والبكاء والضحك وغير ذلك من الأصوات ذات الدلالة على المواقف ، ويدخل في ذلك الشكل والزي والحركة والهيئة واللون والعلامات مثل: إشارات المرور ، والإشارات الضوئية التي تعطي دلالات معينة في مجالات

---

(1) المدخل إلى علم اللغة ، الدكتور: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ص8 .

(2) المدخل إلى علم اللغة . الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة 1976م . ص17 .

(3) أسس علم اللغة ، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ص29 .

(4) نفسه ص 35 .

(5) نفسه .

التواصل الإنساني[1].

وهناك فرق بين اللغة التي يتواصل بها الإنسان وتلك الأشياء ، فاللغة (الكلام) نظام إنساني يعتمد على الفكر والقدرة على الإفصاح والتعبير ، أما الحركات، والأصوات ، والزي ، واللون ، فليست لغة ، وإنما هي رموز ذات دلالات خاصة ومحدودة .

واللغة ملكة إنسانية مصدرها الجهاز النطقي عند الإنسان . وهذا لا يعني استبعاد الرموز من وظائفها الاجتماعية ، فاللغة تفسر أحيانًا في إطار تلك الرموز التي تشارك مشاركة فعالة في التواصل الاجتماعي ، وذلك في الخطاب اليومي الشفهي ، وتبقى اللغة هي أهم وسائل الاتصال الإنساني وأكثرها دلالة وانتشارًا وأسرعها فهما .

إن الإنسان لديه القدرة على ابتداع واستعمال اللغة الرمزية ، فاللغة عامة مجموعة من الحروف ، أو العناصر ، والقواعد التي تتحكم في تركيبها واستخدامها ، واللغة التي يتكلمها الإنسان مثل: العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، لغة طبيعية ، ولكن الإنسان تمكن من وضع رموز تؤدي دلالات الكلمات والحروف . مثل شفرة «مورس **Morse**» ونظام بريل الرمزي ، ولغة الإشارة ، والحركة ، وقد استخدم الإنسان هذه العلامات طبقا للاحتياجات البشرية الخاصة ، وهذه الرموز تم الاتفاق عليها بطريقة عشوائية ؛ لتؤدي دلالة معينة في حقل استخدامها الذي اصطلح على دلالتها .

إن الرموز بيانات على هيئة أشكال وحروف وكلمات وأشياء ،وأفعال ترمز لشيء إلى جانب ترميز نفسها أو الدلالة على نفسها مثل «العلم» الذي يرمز إلى شعار الدولة له دلالة خاصة في وجدان مواطني هذا البلد . إلى جانب أنه علم مصنوع من قماش أو غيره وله لون معين .

والإنسان وحده له القدرة على وضع الرمز وتطويره إلى جانب أنه يتأثر به ويتفاعل معه ، ويحمل له دلالة ذهنية أو تصورا ، ولكن ما هي العلاقة بين الرمز الدال وبين المفهوم أو

---

(1) مدخل إلى علم اللغة . د. حجازي ص 10، 11 .

التصور؟[1].

إن كلمة «كلب» ليس لها مدلول في شكلها الكتابي المكون من حروف ، فهي في أبسط صورها عبارة عن أحرف مكتوبة على ورق أو مجموعة أصوات متتالية تخرج من مخارجها الصوتية في حالة النطق ، وهي في كلتا الحالتين رمز في المجتمع الذي تواضع عليه لشيء يعرفه ويتصوره .

ولكن العلاقة عشوائية أو اعتباطية بين الرمز الحرفي «كلب» المكون من (ك . ل . ب) والحيوان الذي يشير إليه الرمز ، فليست هناك علاقة بين الحروف المكونة للفظ وبين الحيوان أو مفهوم الحيوان إلا الإشارة إليه بمعنى أننا وضعنا هذا الرمز ، الكتابي واتفقنا عليه ليصبح علما لهذا الحيوان ، ومن ثم يمكن لأي كلمة أخرى أن تقوم مقام هذه الكلمة ، فكلم كلب تخص الناطقين بالعربية فقط ، ولو كان هناك ارتباط بين الرمز المشير والمشار إليه ، لاتفقت أسماء الأشياء في اللغات جميعها ، ولصارات كلمة «كلب» في جميع اللغات ، لكن كل جماعة اتفقت على وضع رمز يشير إليه .

هذا في إطار اللغة أما في إطار الرمز غير اللغوي ، فلا تحكمه تلك القاعدة ، لأنهارموز تعليمية ترتبط بمجال كل مهنة ، فإشارات المرور تكاد تكون متفقة في جميع الدول التي تستخدم وسائل النقل الحديثة ، وكذلك الإشارات التي ترسلها السفن قد تكون واحدة ، ولكن هناك رموزًا تتعلق مدلولاتها بالثقافة ومن ثم تختلف من ثقافة وأخرى ، مثل أساليب التحية والوداع .

وتعد اللغة أفضل وسائل الاتصال وأرقاها ، وأكثرها دلالة وانتشارا وتنوعا من الرموز غير اللغوية ، رغم أنها تؤدي دلالات أسرع أحيانا مثل إشارة المرور الحمراء التي تعني «قف» ، والإنسان يتعلم معاني تلك الرموز غير اللغوية ، مثلما يتعلم الرموز اللغوية ، فقد تعلم أن الضوء الأحمر يعني قف في إشارة المرور ، ولكنه لا يعني هذه الدلالة في مكان آخر فإن الرمز غير اللغوي هو الآخر اعتباطي وإن اتفقت عليه جموع البشرية ، فهو في النهاية

---

(1) ارجع إلى كتابنا الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو ، ص14-16.

لا يدل على المشار إليه في جميع الحالات .

ونؤكد في الوقت نفسه أن الإنسان وحده هو الذي يستطيع إنتاج اللغة (أو الرموز) ويطورها؛ لأن اللغة تحتاج إلى طاقة أدائية وفكر ، ولكن الحيوانات تنطق أصواتًا أو تقوم بحركات معينة ، وهي مجبولة عليها من خلال الاستعداد الطبيعي ، فهي تؤدي هذا دون تعليم ، وتظل تلك الحركات والأصوات مصاحبة للحيوان يفعلها ، وإن نشأ بعيدًا عن المجتمع الحيواني ، ولكن الإنسان لا يستطيع معرفة اللغة أو الرموز دون أن يتعلمها وينشأ عليها ، رغم أنه مزود بالقدرة على التعلم ، ولكنه يعجز عن الوصول إلى فهم الشيء إن لم يستلهم معانيه ، ومن ثم فالمجتمع هو المدرسة الأولى التي تعلم الإنسان فيها الكلام ، واكتسب منه اللغة ، بيد أن الحيوان مجبول على أصواته، وحركاته السلوكية يولد عليها ، ويموت عليها دون تطوير أو تغيير ، وقد فشلت محاولات تعليم الحيوان النطق ، وإن نطق بعض الأصوات البشرية ، فهي مجرد محاكاة لا غير ولا يفهم مدلولها ، ولكن من الممكن ترويد الحيوان على بعض الحركات الرمزية وتهذيب سلوكه ، ويظل الإنسان بهذا صاحب الملكة اللغوية التي تميزه عن الحيوان ، تصديقا للحقيقة العلمية التي تقول إن «الإنسان حيوان ناطق» .

موضوع علم اللغة

موضوع علم اللغة اللغة البشرية جميعها قديمها وحديثها ، وحيها وميتها وسواء أكانت منطوقة أو مكتوبة فكل النشاط اللغوي لكافة طبقات المجتمع قديما وحديثا هو موضوع دراسة علم اللغة ، دون اعتبار في ذلك لمقدار جودة اللغة أو رداءتها، وفصاحتها أو ضعفها ، وصحتها وسلامتها من اللحن ، أو شيوعه فيها ، فإن موضوع علم اللغة الأصلي هو دراسة اللغة لا كظاهرة صوتية أو ظاهرة عضلية أو حسية تخضع للحركات أو للإدراك الحسي أو لفهم الأصوات ، ولكن كوسيلة للاتصال الإنساني ، فاللغة ظاهرة اجتماعية نشأت في ظل كيان اجتماعي وتنمو بنموه وتتسع باتساعه وتتأثر به ، ولهذا فموضوع علم اللغة اللغة البشرية ، ولا يدخل في مجال دراسته ما يسمى بلغات الكائنات المجهولة أو منطق الحيوان ، ومجال دراسته جميع اللغات العالمية بكافة مستوياتها .